الخميـــــــــــــــــــس الخامـــــــــــــس

قال هشام البيلي: مستدلا على أن النقل بغير عزو سرقة !! الذى هو لازم أن يسرق نفسه

أولا : وهو محرم للأدلة الأتية:

الدليل الأول" لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)."

فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٦٨)

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ كَمَا سَيَأْتِي، وَالظَّاهِرُ **شُمُولُهَا لِكُلِّ مَنْ حَصَلَ مِنْهُ مَا تَضَمَّنَتْهُ** عَمَلًا بِعُمُومِ اللَّفْظِ، وَهُوَ الْمُعْتَبَرُ دُونَ خُصُوصِ السَّبَبِ، فَمَنْ فَرِحَ بِمَا فَعَلَ، وَأَحَبَّ أَنْ يَحْمَدَهُ النَّاسُ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، فَلَا تَحْسَبَنَّهُ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ."

قال البيلي:

"وأقول أنا فإذا كان هذا فيمن فرح بما فعل ، فكيف إذا فرح بما لم يفعل وأحب أن يحمده الناس بما لم يفعل وسره ذلك."

الرد على هذا:

أولا:فماذا لو قال لك قائل فلماذا لا تُدخل نفسك في الأية لسرقتك قواعد الدكتور ناصر العقل ولسرقتك مجهود المحقق في ترجمة ابن طاهر الذى قال فيها المحقق بحث له عن ترجمة فلم أجد إلا في مكتبة الحرم ثم أخذتها أنت أيها البيلي موهما أنها من كيسك فأنت على هذا سارق كذاب فماذا أنت قائل أم انك بلغت اليقين فلا تُسئل عما تفعل وهُم يُسئلون .

ثانيا: فإن الاحتجاج بهذه الأية على ما يريده البيلي من إنزالها على النقل بغيرعزو

له ثلاثة أمور لا رابع لها:

١-فإما أن البيلي يدلس على الناس لتحريف مُراد السلف من الآية ، فأنزل الآية على ما يريد لا على ما يريد السلف انتصارا لنفسه وحفاظا على ماء وجهه ، وهذا فيه ما فيه من تحريف كلام الله ، وإنزال الأية على غير مرادها .

٢-وإما أنه كلف بعض الصبيان ليجمع له هذا ، فكان كحاطب ليل وأحلاهما مر .

٣-وإما أن البيلي لم يفتح كتاب الشوكاني وإنما فتح النت فوجدها أمامه فاحتج بها على ما يريد فيكون كحاطب ليل أيضا.وهذا أصل أصول الحزبية الاعتقاد ثم الاستدلال ، وإنما ذكرت هذا لما سيأتى من بيان بتر البيلي لكلام الشوكانى كى يخدم معتقده والله حسيبه.

ثالثا:لو سلمنا لك أن الآية حجة في موطن النزاع فهل تقول بأن النقل بغير عزو كبيرة لأن الآية خُتمت بعذاب ؟

فإن قلت نعم كبيرة .

قلنا: ومن ممن تحتج بهم قال أنها كبيرة.

وإن قلت لا ليست بكبيرة.

قلنا: فليس لك ان تحتج بالأية لأنه إذا بطُل اللازم بطُل الملزوم.

رابعا : كيف تحتج بكلام الشوكاني على أن الأية حكمها في النقل بغير عزو والشوكاني يجيز ذلك قولا وفعلا وتعليقه على كلام السخاوى في حق السيوطي أشهر من نار علم ، يقول الشوكانى في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/ ٣٣٢)

" قَوْله إنه مسخ كَذَا وَأخذ كَذَا لَيْسَ بِعَيْب فإن هَذَا مازال دأب المصنفين يأتي الآخر فَيَأْخُذ من كتب من قبله فيختصر أَو يُوضح اَوْ يعْتَرض أَو نَحْو ذَلِك من الْأَغْرَاض الَّتِى هي الباعثة على التصنيف وَمن ذَاك الذي يعمد إلى فن قد صنف فِيهِ من قبله فَلَا يَأْخُذ من كَلَامه.."

فهل لو جئتُك بكلام للشوكاني لم يعزو فيه فهل ستحكم على الشوكاني بالسرقة العلمية ، فتكون حاكما بالسرقة على من تحتج بكلامه في السرقة أي عقل هذا!!!!

خامسا: الرد مجملا ومفصلا

فأما المُجمل فخلاصة تفسيرالأية على فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين "أنها فى كل من كتم علما ، أو ترك واجبا عليه ، وأظهر خلاف الحق وأحب أن يُحمد على هذا الفعل فلا تحسبنه بمفازة من العذاب"

فتعمد هشام البيلي لعدم الإتيان بكلام الشوكاني كاملا فى بيان مراد الأية .

يعرضه للأتى:

١-أن يكون احتجاجه بالأيه حجة عليه ويكون هو ممن يدخل فيها لأنه كتم كلام الشوكاني وأحب أن يحمد بانتصاره على الخصم .

٢- أن يُحكم عليه بالتدليس والكذب لأن تحريف مُراد المتكلم من الكذب عليه .

٣- إذا كان هذا فى الكذب على البشر فكيف بالكذب على رب البشر .

وإليك التفصيل أيها اللبيب من مراد السلف للأية ، وأبدء من الشوكاني نفسه لتعلم أن البيلي وقع فى كل ما ذكرناه .

يقول الشوكاني فى فتح القدير عند تفسير الأية المذكورة والذى لم يذكره البيلي(١/ ٤٦٩)

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَغَيْرُهُمَا: أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ لِبَوَّابِهِ اذْهَبْ يَا رَافِعُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أُوتِيَ، وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّبًا، لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا لَكَمَ وَلِهَذِهِ الْآيَةِ، **إِنَّمَا أُنْزِلَتْ** فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ تَلَا "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:سألهم النبي صلّى الله عليه وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَخَرَجُوا وَقَدْ أَرَوْهُ أَنْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سألهم عنه وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ، وَفَرِحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كِتْمَانِ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ، وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ:

" أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الغزو، وتخلفوا عَنْهُ وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغَزْوِ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَحَلَفُوا، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، **فَنَزَلَتْ**.

قلتُ: أبى يحي وهذا يعتبره علماء أصول الفقه ، وأصول التفسير ، وأصول الحديث أنه مُسند مرفوع.

فى معرفة علوم الحديث للحاكم (ص: ٢٠)

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: " كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ} [البقرة: ٢٢٣] "

قَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا الْحَدِيثُ وَأَشْبَاهُهُ مُسْنَدَةٌ عَنْ آخِرِهَا، وَلَيْسَتْ بِمَوْقُوفَةٍ، فَإِنَّ الصَّحَابِيَّ الَّذِي شَهِدَ الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فَأَخْبَرَ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُسْنَدٌ."

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٤٠)

وَقَدْ تَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِ الصَّاحِبِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي كَذَا هَلْ يَجْرِي مَجْرَى الْمُسْنَدِ كَمَا يَذْكُرُ السَّبَبَ الَّذِي أُنْزِلَتْ لِأَجْلِهِ أَوْ يَجْرِي مَجْرَى التَّفْسِيرِ مِنْهُ الَّذِي لَيْسَ بِمُسْنَدِ فَالْبُخَارِيُّ يُدْخِلُهُ فِي الْمُسْنَدِ وَغَيْرُهُ لَا يُدْخِلُهُ فِي الْمُسْنَدِ وَأَكْثَرُ الْمَسَانِدِ عَلَى هَذَا الِاصْطِلَاحِ كَمُسْنَدِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ؛ **بِخِلَافِ مَا إذَا ذَكَرَ سَبَبًا نَزَلَتْ** عَقِبَهُ **فَإِنَّهُمْ كُلَّهُمْ** يُدْخِلُونَ مِثْلَ هَذَا فِي الْمُسْنَدِ. وَإِذَا عُرِفَ هَذَا فَقَوْلُ أَحَدِهِمْ نَزَلَتْ فِي كَذَا **لَا يُنَافِي** قَوْلَ الْآخَرِ نَزَلَتْ فِي كَذَا إذَا كَانَ اللَّفْظُ يَتَنَاوَلُهُمَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمِثَالِ وَإِذَا ذَكَرَ أَحَدُهُمْ لَهَا سَبَبًا نَزَلَتْ لِأَجْلِهِ وَذَكَرَ الْآخَرُ سَبَبًا؛ فَقَدْ يُمْكِنُ صِدْقُهُمَا بِأَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ عَقِبَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ أَوْ تَكُونَ نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً لِهَذَا السَّبَبِ وَمَرَّةً لِهَذَا السَّبَبِ."

قلتُ: أبو يحيى:

فشيخ الإسلام ينقل الإجماع على ان الصحابي إذا ذكر سببا فنزلت الآية لها فإنه يكون حديثا مسندا ، فحكمه تعالى بقوله " فال تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم " نزل على علة كتمان العلم والحق وإظهار خلافه وحب الفرح والمدح على هذا . والقاعدة الحكم يدور حول العلة وجودا وعدما"

فإذا وجدت هذه العلة في أحد يوجد هذا الحكم وإذا انتفت انتفى الحكم ، لأن السبب يفسر بالعلة وبالمناط عند الأصوليون لأنه الوصف الظاهر المناسب للحكم ، والعجيب أن الشوكاني الذى احتج به البيلي يقول عن الآية أنها شاملة لكل من حصل منه ما تضمنته ، وما تضمنته الآية إلا العلة التى ذكرها الصحابة رضى الله عنهم.

والقاعدة الأصولية " إذا ثبت الحكم بالوصف انتفى الوصف عما عداه"

سادسا: وإليك تفسير السلف لمناط الأية .

يقول الطبري (٧/ ٤٦٥)

القول في تأويل قوله: {لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) }

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: عني بذلك قومٌ من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا العدو، فإذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه، وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

* ذكر من قال ذلك:

عن أبي سعيد الخدري: أن رجالا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغزو، تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله. وإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم من السفر اعتذروا إليه، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا. فأنزل الله تعالى فيهم:"لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا" الآية

وقال ابن زيد في قوله:"لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا"، قال: هؤلاء المنافقون، يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: لو قد خرجت لخرجنا معك! فإذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم **تخلَّفوا وكذبوا، ويفرحون بذلك، ويرون أنها حيلة احتالوا بها."**

وقال آخرون:

عني بذلك قوم من أحبار اليهود، **كانوا يفرحون بإضلالهم الناس، ونسبة الناس إياهم إلى العلم.**

* ذكر من قال ذلك:

عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير:"وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب" إلى قوله:"ولهم عذاب أليم"، يعني فنحاصا وأشيع وأشباههما من الأحبار، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيَّنوا للناس من الضلالة "ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا"، أن يقول لهم الناس علماء، وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى ولا خير، ويحبون أن يقول لهم الناس: قد فعلوا.

عن عكرمة: أنه حدثه عن ابن عباس بنحو ذلك إلا أنه قال: **وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى.**

قلتُ: أبو يحي:

وهل من ينقل كلام أهل السنة المحضة والحق الصرف وإن لم يعزو يكون قد زين الضلالة ، ولم يحمل الناس على هدى ولا على خير ، وهل البيلي حينما أخذ قواعد الدكتور العقل هل حمل الناس على غير هدى فاللهم رُحماك.

وقال آخرون- الكلام للطبري-: بل عُني بذلك قومٌ من اليهود، فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، ويحبون أن يحمدوا بأن يقال لهم: أهل صلاة وصيام.

* ذكر من قال ذلك:

الضحاك بن مزاحم يقول في قوله:"لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا"، فإنهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا:"قد جمع الله كلمتنا، ولم يخالف أحد منا أحدًا [أن محمدًا ليس بنبي] وقالوا:"نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أهل الصلاة والصيام"، وكذبوا، بل هم أهل كفر وشرك وافتراء على الله، قال الله:"يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا".

عن الضحاك في قوله:"لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا"، قال: كانت اليهود أمر بعضهم بعضًا، فكتب بعضهم إلى بعض:"أنّ محمدًا ليس بنبي، فأجمعوا كلمتكم، وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذي معكم"، ففعلوا وفرحوا بذلك، وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم.

عن السدي قال: كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم، وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه، وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون:"نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة، ونحن على دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم"، فأنزل الله فيهم:"لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا"، من كتمان محمد صلى الله عليه وسلم"ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا"، أحبوا أن تحمدهم العرب، بما يزكون به أنفسهم، وليسوا كذلك.

وعن ابن عباس:"لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا"، هم أهل الكتاب، أنزل عليهم الكتاب فحكموا بغير الحق، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وفرحوا بذلك، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا. فرحوا بأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله، وهم يزعمون أنهم يعبدون الله، ويصومون ويصلون، ويطيعون الله. فقال الله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم:

"لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا" كفرًا بالله وكفرًا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا"، من الصلاة والصوم، فقال الله جل وعز لمحمد صلى الله عليه وسلم:"فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم".

وقال آخرون: بل عني بذلك قومٌ من يهود، أظهروا النفاق للنبي صلى الله عليه وسلم محبة منهم للحمد، والله عالم منهم خلاف ذلك.

* ذكر من قال ذلك:

عن قتادة: ذكر لنا أنّ أعداء الله اليهود، يهود خيبر، أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم، فزعموا أنهم راضون بالذي جاء به، وأنهم متابعوه، وهم متمسكون بضلالتهم، وأرادوا أن يحمَدهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لم يفعلوا، فأنزل الله تعالى:"لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا"، الآية.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله:"لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا" الآية، قول من قال:"عني بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جل وعز أنه أخذ ميثاقهم، ليبين للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يكتمونه، لأن قوله:"لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا" الآية، في سياق الخبر عنهم، وهو شبيه بقصتهم مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك.

فإذًا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية:

لا تحسبن، يا محمد، الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناسَ أمرك، وأنك لي رسول مرسل بالحق، وهم يجدونك مكتوبًا عندهم في كتبهم، وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوتك، وبيان أمرك للناس، وأن لا يكتموهم ذلك، وهم مع نقضهم ميثاقي الذي أخذت عليهم بذلك، يفرحون بمعصيتهم إياي في ذلك، ومخالفتهم أمري، ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم، واتباع لوحيه وتنزيله الذي أنزله على أنبيائه، وهم من ذلك أبرياء أخلياء، لتكذيبهم رسوله، ونقضهم ميثاقه الذي أخذ عليهم، لم يفعلوا شيئًا مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه"فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم".

سابعا: قلتُ: أبو يحيى

فالحمد لله وضح وضوحا جليا تحريف البيلي للأية وتفسيره لها على غير مراد منهج السلف الصالح وإليك حكم شيخ الإسلام على كل من حرف التفسير ليخدم هواه وغير وبدل مراد السلف .

يقول شيخ الإسلام فى مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٤٣)

وَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ أَوْ الْحَدِيثَ وَتَأَوَّلَهُ عَلَى غَيْرِ التَّفْسِيرِ الْمَعْرُوفِ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ **فَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ مُلْحِدٌ فِي آيَاتِ اللَّهِ مُحَرِّفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَهَذَا فَتْحٌ لِبَابِ الزَّنْدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ** وَهُوَ مَعْلُومُ الْبُطْلَانِ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ."

فالحمد لله ظهر من المتبع لمنهج السلف ومن المحرف لتفسير السلف.

ثامنا: أن أول الأية "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)

والسياق من المقيدات ، والسابق واللاحق يقيد مراد الآية .

فإن قيل:

فما معنى قول الشوكاني العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

قلنا: بمعنى أنها ليست خاصة بأهل الكتاب ولكن فى كل من اشترك معهم فى فعلهم ووصفهم . وكما قال الشوكاني نفسه حين قال "وَالظَّاهِرُ شُمُولُهَا لِكُلِّ مَنْ حَصَلَ مِنْهُ مَا تَضَمَّنَتْهُ"

وفى التفسيرالقيم لابن القيم (ص: ٧٩)

الضرب الثاني:

من لا إخلاص له ولا متابعة. فليس عمله موافقا لشرع، ولا هو خالصا للمعبود، كأعمال المتزينين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله. وهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم إلى الله عز وجل. ولهم أوفر نصيب من قوله " لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا. فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ" يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص.

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات، والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوه من الاتباع والإخلاص والعلم. فهم أهل الغضب والضلال."

وفى تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٢٧٣)

فهذه الخصالُ، خصالُ اليهودِ والمنافقينَ، وهو أن يُظهرَ الإنسانُ في الظاهرِ

قولاً أو فعلاً، وهو في الصورةِ التي ظهرَ عليها حسنٌ، ومقصودُهُ بذلك

التوصُّلُ إلى غَرَضٍ فاسدٍ، فيحمدُهُ على ما أظهر من ذلك الحسَنِ، ويتوصَّلُ

هو به إلى غرَضِهِ الفاسدِ الذي هو أبْطَنَهُ، ويفرحُ بحمدِهِ على ذلك الذي أظهرَ أنه حسنٌ وفي الباطنِ شيء، وعلى توصُّلِهِ في الباطنِ إلى غرضِهِ

السيِّئ، فتتمُّ له الفائدةُ وتُنفَّذُ له الحيلةُ بهذا الخداع!!.

ومَنْ كانتْ هذه صفتُهُ فهو داخلٌ في هذه الآيةِ ولا بُدَّ، فهو مُتَوَعَّدٌ بالعذابِ الأليم، ومثالُ ذلك: أن يُريدَ الإنسانُ ذمَّ رجل وتنقُّصَهُ وإظهارَ عيْبِهِ لينفر الناس عنه إما محبةً لإيذائهِ أو لعداوتِهِ، أو مخافةً من مُزاحمتِهِ على مالٍ أو رئاسة أو غير ذلك من الأسبابِ المذمومةِ، فلا يتوصَّل إلى ذلك إلا بإظهار الطَّعْنِ فيه بسببٍ ديني، مثل: أن يكونَ قد ردَّ قولاً ضعيفًا من أقوالِ عالمٍ مشهور فيشيعُ بين من يُعَظِّم ذلك العالِمَ، أن فلانًا يُبْغِضُ هذا العالِمَ ويذمُّه ويطعنُ عليه فيغِرُّ بذلك كلَّ من يُعظمه ويُوهمهُم أن بُغْضَ الرادِّ وأذاهُ من أعمال العربِ،

لأنه ذبٌّ عن ذلك العالِم، ورفع الأذى عنه، وذلك قُربةٌ إلى من الصحابة أكفأ عن عثمان من عليٍّ " فيقالُ له: لِمَ يسبُّونه إذًا؛ فيقول: "إنَّ المُلْكَ لا يقومُ إلا بذلك ".

ومُرادُهُ أنَّه لولا تنفيرُ قلوبِ الناسِ عن عليٍّ ووَلَدِهِ ونسبُهم إلى ظُلم عثمانَ لما مالتْ قلوبُ الناسِ إليهم، لما علموه من صفاتِهم الجميلةِ وخصائصِهم الجليلةِ، فكانوا يُسرعون إلى مُتابعتهم ومبايعتِهم فيزولُ بذلك مُلكُ أميَّة.

وينصرفُ الناسُ عن طاعتِهم ، ومن هذا البابِ - أيضًا - أن يحبَّ ذُو الشرفِ والولايةِ أن يُحمدَ على أفعالِهِ ويُثْنَى عليه بها، ويَطلبُ من الناسِ ذلك، ويَتسببُ في أذى من لايُجيبُه إليه، ورُبَّما كان ذلك الفعلُ إلى الذمِّ أقربَ منه إلى المدح، ورُبَّما أظهر أمرًا حسنًا في الظاهرِ، وأحبَّ المدحَ عليه وقصَدَ به في الباطنِ شرًّا، وفرِحَ بتمْويهِ ذلك وترويجه على الخلقِ.

وهذا يدخلُ في قولِهِ تعالى: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ) ، الآية.فإن هذه الآيةَ إنما نزلتْ فيمن هذهِ صفاتُهُ."

وقال العلامة ابن كثير (٢/ ١٥٩)

هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ وَتَهْدِيدٌ لِأَهْلِ الكتاب الذين أخذ الله عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يُنَوِّهُوا بِذِكْرِهِ فِي النَّاسِ، لِيَكُونُوا عَلَى أُهْبَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، فَإِذَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَابَعُوهُ، فَكَتَمُوا ذَلِكَ وَتَعَوَّضُوا عَمَّا وَعَدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالدُّونِ الطَّفِيفِ، وَالْحَظِّ الدُّنْيَوِيِّ السَّخِيفِ، فَبِئْسَتِ الصَّفْقَةُ صَفْقَتُهُمْ، وَبِئْسَتِ الْبَيْعَةُ بَيْعَتُهُمْ، وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ لِلْعُلَمَاءِ أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَهُمْ فَيُصِيبَهُمْ ما أصابهم، ويسلك بهم مسالكهم، فَعَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَبْذُلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، الدَّالِّ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا يَكْتُمُوا مِنْهُ شَيْئًا، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا، يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُرَائِينَ الْمُتَكَثِّرِينَ بِمَا لَمْ يُعْطَوْا، كما جاء فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مِنْ ادعى دعوة كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا، لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا قلة» . وفي الصحيح أيضا «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ» .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ لِبَوَّابِهِ إِلَى ابن عباس فَقُلْ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَى وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يفعل معذبا لنعذبن أجمعين، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمَا لَكُمْ وَهَذِهِ، إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ

ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا الْآيَةَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلّم عن شيء فكتموه إياه وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ أَنْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ، وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ، وفرحوا بما أتوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ.

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ، وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي تفسيريهما، وابن أبي حاتم، وابن جرير، والحاكم في مستدركه وابن مردويه كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جُرَيْجٍ بِنَحْوِهِ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ لِبَوَّابِهِ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَذَكَرَهُ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغَزْوِ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَنَزَلَتْ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا الْآيَةَ، وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي مَرْيَمَ بِنَحْوِهِ."

فقد تعدى هشام البيلي كل هذه الحدود من تفاسير الصحابة ، والتابعين ، وتابعيهم وأتانا بتفسير مُبتدع لا يوافق الأية فى المطابقة ولا فى التضمن ولا فى الالتزام.

عاشرا:وإن كنت قد احتججت بالأية على العموم على غير نظير ما ذكره الصحابة والتابعين فهذه بدعة والقاعدة " فالاحتجات بالعمومات التى لم يجرى عليها عمل السلف بدعة " وقد ذكرها الشاطبي والألباني.

وقد أريناك أنها تفاسير مُسندة ، فتأصيلات البيلي اتضحت تأصيلات مُبتدعة ، مخالفة للمرفوع والموقوف والمقطوع.

حماقة والرد عليها:

وقد قال بعض الحمقى بأن هذا التفسير من التعسف.

قلنا : والحماقة قد أعيت صاحبها ، فهل يقال لمن وقف على تفسير الصحابة والتابعين من المتعسفين ووالله إنه لتسفيه للسلف جميعا من هذا الأخرق الذى أعمته الحزبية فلا يدرى ما يقول.

فهل من يسرق – على زعمه- القواعد من غيره وتراجم الناس من غيره ثم يدعيها لنفسه بقوله " سوف نضع ، ثم يحكم على غيره بالباطل أليس هذا من التعسف .

وهل من يقول إذا كانت الفائدة بصياغتى وجهدى فلا تكون سرقة أليس هذا تعسف.

وأليس من يحمل مصطلحات العلماء ويحرف مرادهم إلى مراده أليس من التعسف كما وضحت هذا في الكواشف السادسة. وغيرها من التعسفات الأتية ، والتعسف في اللغة الجور والظلم والاستبداد.

جهالة والرد عليها:

قالوا "التخصيص بالذكر لا يستلزم التخصيص بالحكم"

قلنا : وهذا هو الجهل بعينه ان يظن هذا الجاهل أن القواعد مطردة فيظن أن كل مدور رغيف.

فهذه القاعدة لا عمل لها هنا للأتى:

١-فإن هذه القاعدة يا أيها الأصولي الذى لا يُشق له غبار إنما يُرد بها على من أراد أن يتعسف فيستبد بدليل دون الأخر .

مثال كى تفهم:

إزالة النجاسة لا تكون إلا بالماء لقول النبي صلى الله عليع وسلم" أريقوا على بوله سجلا من ماء ولم يذكر غيره.

فنقول له هنا تخصيص الماء بالذكر لا يستلزم تخصيصه بالحكم لأن هناك نصوص توضح أن النجاسة تُزال أيضا بغير الماء كالنصوص في التراب ، والنصوص في مسح النجاسة بالأرض وهكذا.

مثال آخر : احتج من يقول بأنه لا يجوز نكاح المشركات من اليهود والنصارى بقوله تعالى " ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات" فخص هنا المؤمنات.

فكان الجواب تخصيص المؤمنات بالذكر لا يستلزم تخصيصهن بالحكم لأن هناك دليل على جواز نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب.

والأدلة كثيرة ولكن الحزبية تعمى وتصم.

٢- ووالله إن هذا لتحقير لفهم السلف فلماذا لم يفهموا هذا ويطبقوه أم أنكم علمتم ما لم يعلموه.

٣-بل إن تخصيص الحكم في الآية لمن هذه صفته يدل على أنه لا يقاس عليه غيره ، فصارت الحجة عليكم والحمد لله.

وفى الفروق للقرافي (٢/ ٨٠)

التخصيص بالذكر لا بد له من فائدة **وغير التخصيص بالحكم منتف"**

وفتح القدير للكمال ابن الهمام (٨/ ٣٢٢)

بِأَنَّ التَّخْصِيصَ بِالذِّكْرِ فِي الرِّوَايَاتِ **يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْحُكْمِ عَمَّا عَدَاهُ بِلَا خِلَافٍ."**

فالبيلي ومن يناصره ويتحزب له بالباطل ، لا للسلف نصروا ولا لخصومهم كسروا

بقلم ابي يحيى

سامح بن محمد بن أحمد

صباح الأحد ٢٦ربيع أول ١٤٣٨

٢٠١٦/١٢/٢٥